جامعة بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

المادة: نظرية الأجناس الأدبية

المستوى: الثانية ليسانس(دراسات نقدية)

المحاضرة: الثانية:

تاريخية الأجناس الأدبية

-تمهيد

يعود أقدم أصل متصل بالتجنيس الأدبي إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون الذي ضمه كتابه: الجمهورية وقد اقتصر في دراسته للأدب على جانب من الشعر اليوناني، ركز فيه على أشعار هوميروس الذي تناوله من الجانب الإبداعي لا من ناحية الجنس الأدبي، وقام بتصنيفه إلى ضروب ثلاثة هي:

. صنف يقوم على الوصف

. صنف يقوم على التمثيل

. نوع ثالث يجمعهما

أي ملحمي تتصل فيه المحاكاة بصوت القناع وغنائي يربط السرد بصوت الشاعر، ودرامي يشترك فيه النوعان السابقان عل الترتيب.[1]

في حين تكتسي جهود أرسطو طاليس (384- 322 ق. م) أهمية بالغة في مجال التجنيس (Généricité) الأدبي، فهو واضع اللبنات الأولى لنظرية الأجناس الأدبية في منجزه النقدي الأول في تاريخ النقد الأدبي، المتمثل في كتابه فن الشعر، فمن خلال نظريته الرائدة (المحاكاة)[2] الذي يذهب فيها إلى أن: الفن محاكاة للطبيعة والإنسان، وهي تختلف باختلاف الفنون، استطاع أرسطو أن يسيطر على

[1] ينظر: شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1982 ص97

[2] أرسطو طاليس، فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأزهر المعرفية، القاهرة، 1982 ص31

العقل الأدبي والنّقدي الأوربي إلى أوساط القرن الثامن عشر، حيث قدم أول جهد منهجي منظّم في تاريخ نظرية الأدب. ومن خلال ما وصل منه(الكتاب) يمكن استنباط نظرية في طبيعة الأدب ووظيفته بشكل عام.[3]

فإذا كان أفلاطون قد قسم الشعر اليوناني إلى ثلاثة أقسام هي: السرد الخاص والمحاكاة أو العرض، والمشترك، منطلقا في تقسيمه من النتاج الإبداعي، وليس من مقومات الجنس، فقد قسم أرسطو الأدب إلى ثلاثة أقسام هي: الأدب الغنائي والملحمي والدرامي،[4] وأكد على الحدود الفاصلة بين كل جنس وآخ، وبذلك لم تقف جهوده عند هذا التقسيم، بل بيّن خصائص كل من التراجيديا والملحمة في الموضوع أو الأداء والوظيفة، كما بين أن كل نوع أدبي يختلف عن النوع الآخر من حيث الماهية والقيمة، وعمل بالمبدأ القائل: أن كل نوع أدبي يقدم درجة إشباعه الخاصة به ويعمل حسب مستواه الخاص به

بات من المعلوم أن موضوع الجنس الأدبي قديم في الفكرين الأدبين . الغربي والعربي، وهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالأدب، بل وينبثق عنه، وقد نشأ وترعرع في رحابه.

والجنس الأدبي كما سلف الذكر عبارة عن مجموعة من الأعمال الأدبية، توحّد بينها جملة من السّمات والخصائص، تلتقي من خلالها النصوص. لتصنع مفارقتها واختلافها عن النصوص الأخرى.

وتنهض الأجناس الأدبية على تأمل الأدب بغية تصنيفه استنادا إلى مجموعة من المعايير والمقولات، كخصائص بنية شكله وأساليبه ومضامينه، وهذا ما يجعل معالجة موضوع الأجناس الأدبية، يستند بطريقة أو بأخرى" بصفة ضمنية أو صريحة، إلى نظرية في الأنواع. فخصائص النوع لا تبرز إلا بتعارضها مع خصائص أنواع أخرى... لهذا فإن دراسة نوع تكوّن في الوقت نفسه هي دراسة للأنواع المجاورة،[5] ومن هنا فالجنس الأدبي أيّ جنس لا يتحدد إلا من خلال اختلافه على مستوى الصياغة والدلالة والغاية عن غيره من الأجناس الأخرى، ونعني هنا اختلاف أساسياته وعناصره الثابتة(المرجعية) التي توجد في نصوص أدبية سبقت ظهور النص الجديد (مثل الخصائص العامة للشعر الملحمي في الإلياذة، والملاحم الشعرية الحديثة أو المعاصرة).

والحق أن للأجناس الأدبية خواص عامة وأسسا فنية بها يتوحد كل جنس أدبي في ذاته، ويتميز عما سواه، بحيث يفرض كل جنس أدبي نفسه بهذه الخصائص على كل كاتب يعالج فيه موضوعه، مهما كانت أصالته، ومهما بلغت مكانته من التحديد، ولا يستغنى عن الإحاطة بهذه الخصائص كاتب ولا ناقد

---

[3] ينظر: شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدبي، ص99

[4] المرجع نفسه، ص نفسها

[5] محمد مندور، الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، 1996، ص20

من النقاد، وإن كانت الأجناس الأدبية غير ثابتة، فهي في حركة دائبة، تتغير قليلا في اعتباراتها الفنية من عصر إلى عصر ومن مذهب إلى آخر.[6]

فالنص الأدبي – بفعل انفتاحه – غالبا ما يشتمل على مكوّنات وعناصر من نصوص أخرى لأجناس غير جنسه، لكنها لا تؤثر بشكل من الأشكال على الجنس الأدبي، لأن المهم هو ما تتضمنه من عناصر أساسية قارة وثابتة، وكلما انتهك جنس أدبي ظهر جنس آخر توالدا وتناسلا وانبثاقا[7]

إذا، ظهر الاهتمام بتجنيس الأدب مع أفلاطون في كتابه (الجمهورية) وتبلور مع أرسطو في كتابه الرائد (فن الشعر) الذي كشف عن وعي علمي بموضوع الأجناس الأدبية، الذي قسم فيه الأجناس إلى شعر وملحمة ودراما. وقد مرت فكرة التجنيس في الأدب بمرحلتين مهمتين هما:

1. المرحلة الكلاسيكية/ امتداد الصفاء النوعي

وتعد هذه المرحلة امتدادا للنظريات الشعرية (الأدبية) التي أسس لها كل من أفلاطون وأرسطو كما سبقت الإشارة " فقد دعا أصحاب هذه النظرية إلى فصل الأنواع الأدبية بعضها عن بعض، واعتبروها قارات منفصلة،[8] فهي محددة لا يختلط فيها بعضها ببعض وقواعدها شبه أوامر فنية يلقيها الناقدون، ويتبعها الشعراء والكتاب المنتجون، وقد انبثقت تقسيمات أرسطو من دراسته للشعر الإغريقي لدى كبار الشعراء: اسخيليوس ويوريبيدس وسوفوكليس وأريستو فانيس... وظل كتاب أرسطو فن الشعر المرجع الرئيس في الدراسات المتعلقة بالأجناس الأدبية في أوربا.

وتعد المرحلة الكلاسيكية التي تبدأ في إيطاليا في القرن السابع عشر امتدادا للنظريات الأدبية السابقة التي أسس لها أفلاطون وأرسطو بدعوتهما إلى الفصل بين الأجناس الأدبية، فهي (الأجناس الأدبية)" محددة لا يختلط فيها بعضها ببعض وقواعدها شبه أوامر فنية، يلقيها الناقدون ويتبعها الشعراء والكتاب والمنتجون." [9]

ويبنى التصور الكلاسيكي للأدب على " اتباع الأصول الفنية القديمة للأدب"[10] في قضية الأجناس الأدبية "على أن الجنس لا يختلف في الطبيعة عن الجنس الآخر فحسب، بل أيضا على أنه ينبغي أن يفصل بينهما، ولا يسمح لهما بالامتزاج وهذا هو المبدأ الشهير المعروف بنقاء الجنس"[11]

---

[6] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص137، 138

[7] جميل حمداوي من أجل قوانين جديدة لتحديد الجنس الأدبي، موقع ديوان العرب الإلكتروني (الرابط مذكور سابقا)

[8] ينظر، رابح شريط، نظرية الأجناس الأدبية في النقد الغربي، مجلة إحالات ع1، جوان 2018، جامعة مغنية، الجزائر، ص94

[9] المرجع نفسه ص نفسها

[10] محمد مندور، الأدب وفنونه، ص20

[11] رينييه ويليك وأوستين وارين، نظرية الأدب، تر عادل سلامة، دار المرخ للنشر، المملكة العربية السعودية،12

2. المرحلة الرومانسية

يعود التشكيك في مسلمة الأجناس الأدبية إلى الرومانسية، فقد سعى أقطابها إلى إزالة الحدود بين الأجناس وهاجموا الكلاسيكية ورفضوا قواعدها الصارمة، فإذا كانت الكلاسيكية تفصل بين الأجناس الأدبية وتقيم حواجزا بينها، فإن الرومانسية قد وحّدت بينها ضمن النظرية الأدبية، فمقولة صفاء الأجناس في نظر (بنديتو كروتشي) مقولة تشوه وجه الأدب، وتحد من إبداع المؤلف، فهي تقوده من الاستجابة الحدسية إلى الاستجابة المنطقية"[12]

ويعد (فيكتور هيجو) من رواد الرومانسية الذين رفضوا قيود الكلاسيكية وثاروا عليها، وتبنوا مبادئ الحرية،

ودعوا إلى ضرورة إعادة الأجناس الأدبية إلى بدايتها الأولى، فأصبح بنضاله هذا "علما قوميا على حرية الشعب والفن"[13]

اجتهدت المرحلة الرومنسية وما جاء بعدها من اتجاهات ومدارس في تجاوز المرحلة الكلاسيكية الأولى إلى إيجاد نوع من التماثل والتقاطع على مستوى الموضوعات والمواد الأساسية دون الاعتماد (أو الاهتمام) بالوسائل والأدوات.

3. المرحلة الحديثة (النظرية الوصفية)

في هذه المرحلة تحرر الكتاب من الوصايا المسلطة عليهم، وتوصي الكتاب بضرورة التحرر من نظرية الأجناس الأدبية ورفض فكرة صفاء النوع والقول بالتداخل بين مختلف الأنواع الأدبية وغير الأدبية.

ويورد تودوروف في حديثه عن الفصل بين الأجناس الأدبية" قد يكون التخلي عن الفصل بين الأجناس الأدبية بعضها عن بعض علامة حداثة أصيلة لدى كاتب ما، وهذه الفكرة التي يمكن تتبع تحولاتها منذ بدايات القرن التاسع عشر(بالرغم من أن الرومانسيين الألمانيين أنفسهم كانوا بناة كبارا للأنساق النوعية)، تجد في أيامنا هذه أحد ألمع دعاتها في شخص موريس بلانشو(Maurice Blanchot): فهو الذي قال أكثر من أي أحد ما لم يجسر آخرون على التفكير به أو التعبير عنه: ليس اليوم أي وسط بين العمل الأدبي الخاص والمتفرد وبين الأدب برمته باعتباره جنسا نهائيا، لا يوجد هذا الوسيط لأن تطور الأدب الحديث، يقوم بالذات على أن تجعل من كل عمل أدبي أسئلة عن كينونة الأدب ذاتها"[14]

---

[12] المرجع نفسه، ص نفسها

[13] حلمي مرزوق، الرومانتيكية والواقعية في الأدب، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص26

[14]حلمي مرزوق، الرومانتيكية والواقعية في الأدبب، ص21

وما الجنس الأدبي في اعتقاد (تودورف) إلا ترميز لخصائص خطابية، يتبلور منها ومن خلالها وهذه الخصائص محددة وتربطها معايير متفق عليها سابقا داخل مجتمع معين، إلا أن النص الأدبي في نظره يحطم كل المعايير والقواعد النوعية، وليس من الممكن أن يتحول إلى مجرد معادلة فحسب.

ومن هذا المنطلق فلا يمكن بأية حال من الأحوال وضعه في قالب أو نوعية بعينها، فالاهتمام بإشكالية تجنيس الأدب في تصور الناقد الشعري تودوروف ليس الغرض منه دراسة بنيات النصوص الأدبية، إن هذا الاهتمام بالأجناس الأدبية كما يورد: قد يبدو تزجية للوقت لا نفع فيه إن لم يكن مغلوطا تاريخيا، ولكن الحديث عن أي نص أدبي لابد من أن يتم من خلال الحديث عن جنسه وذلك بهدف الكشف عن القاعدة التي يبنى النص حولها"[15]

وعلى هذا الأساس لا يرى (تودوروف) طائلا في الوقت الحاضر من فكرة صفاء الجنس الأدبي، لأن الأجناس الأدبية فككت هذه الفكرة وحطمتها، كما أن الأديب لم يعد يشعر بذلك الضغط العنيف من النقاد والأدب الذي لم يعد يطيق التمييز بين الأجناس ويريد تحطيم الحدود بينها، وقد يعود هذا التداخل وانهيار الحدود بين الأنواع الأدبية إلى انفتاح نظرية الأنواع واندماجها في نظرية شاملة واسعة، هي نظرية الخطاب التي مهد لها الطريق أقطاب الشعرية.

ويبدو مشروع التصنيف العابر للخطابات (Transdiscursive) وهميا حين تكون الأجناس متعلقة بالخطابات، فكل خطاب يمكن مقابلته بنظام أو مجموع توليفي أجناسي، وكل مجموعة من الممارسات الاجتماعية المقابلة لخطاب معين تقسم إلى أنشطة محددة (مثلا: لجنة أطروحة أو مؤتمر أو درس... لكل منها أجناسها الخاصة بها، ولربط الأجناس بالخطابات، تضطلع الشعرية العامة بنهمة دراسة المجاميع التوليفية (Synmories) في خصوصيتها وتطورها المشترك.[16]

وإذا ما انتقلنا إلى تصور (بلانشو) للأديب، فنجده: لا يقبل التفرقة بين الأنواع، بل إنها يسعى إلى تحطيم الحدود والحواجز بينها، حيث يذهب إلى القول" وحده الكتاب يهم، بما هو عليه بعيدا عن الأجناس، وخارج خانات: النثر، الشعر، الشهادة... التي يفترض أن ينتظم تحتها رافضا سلطتها المتقصدة إلى أن تثبته في موضع وتحدد له شكلا، إن الكتاب لم يعد ينتمي إلى جنس أدبي، فكل كتاب ينتسب للأدب وحده"[17]

---

[15] عثمان ميلود، شعرية تودوروف، ص21

[16] عبد الرحمن بوعلي، عناصر لنظرية الأجناس (فرانسوا راستيي) مجلة الخطاب مج 116، ع2، جوان 2021، ص15

[17] المرجع السابق، ص22

ويقول في السياق ذاته:" كون الأجناس الأدبية لم تعد تتوفر على دلالة حقيقية بحيث أصبح من العبث، مثلا، التساؤل عما إذا كان كتاب finneganswake ينتمي أو لا ينتمي للنثر ولفن الرواية، هو أمر يشير إلى هذا العمل العميق للأدب الذي يحاول إثبات جوهره عن طريق تحطيم الفروق والحدود"[18]

وبذلك يتصدى (بلانشو) للقواعد الصارمة التي تحكم الإبداع الأدبي، ويدعو إلى ضرورة التّحرر منها ومن كل الأحكام والتجارب السابقة

ولا يختلف الأمر لدى الناقد رولان بارت (Barthes Barthes) الذي دعا إلى إلغاء الحدود بين الأجناس الأدبية، وجاء بمصطلح الكتابة أو النص، فلا شيء أهم من النص، فهو في اعتقاده قوة بإمكانها قلب كل الأنظمة وخرق كل الأنواع وتجاوز جميع التصنيفات المتعارف عليها، لذا نجده يعبر عن الأدب بالنص بالكتابة التي هي ممارسة ترمي إلى خلخلة الأجناس الأدبية وتجاوز قيودها وأنظمتها، فالنص الأدبي في اعتقاده يتميز بتمرده على صنمية الانتساب.

خلاصة:

نخلص مما سبق إلى الآتي:

-أن الأدب يضم أجناسا أدبية تختلف فيما بينها، فلكل منها خواص عامة وأسسا فنية بها يتميز ويتوحد كل جنس أدبي في ذاته، ويتميز عن الأجناس الأخرى، بل إن الجنس الأدبي ليفرض نفسه على الكاتب الذي يكتب في إطاره، فهو لا يستغني البتة عن الإلمام والإحاطة بهذه الميزات والخصائص.

- مرت فكرة التجنيس في الأدب بمرحلتين مهمتين هما:

-مرحلة الكلاسيكية (التي تؤكد على النقاء النوعي للأجناس)

-المرحلة الرومانسية (التي دعت إلى إلغاء الحدود بين الأجناس الأدبية)

-المرحلة الحديثة: وتمثل مرحلة تحرر الكتاب من فكرة التجنيس الأدبي والنزوع إلى الكتابة غير النوعية وإلى سلطة النص أو الخطاب.

-جنح النقد الغربي إلى العدول عن صرامة أحكامه ومواقفه المتعلقة بالتجنيس الأدبي، وراجع أسس نظرياته النقدية حول إشكالية التجنيس، وأقر أن وضع الحدود بين الأجناس الأدبية هو شكل من أشكال التعسف، إذ كيف يجوز أن نحظر على الشعر كما يقول عبد الملك مرتاض: أن يصطنع شيئا من

[18] عبد الرحمن بوعلي، عناصر لنظرية الأنواع، ص22

المقومات التقليدية للنثر؛ ومن ذلك اصطناع بعض المظاهر السردية، وربما بعض التفاصيل والتسطيحات عوض الإيحاء والتكثيف؟ كما أنه ليس من المحظور على العمل السردي أن يصطنع تاريخية الأجناس الأدبية